اللا–توطين وإلغاء الهوية المحلية في الرّواية:

تشير العولمة إلى حالة من التّمازج والتّرابط، في العلاقات الاجتماعية والثّقافية، عبر غياب الحدود الجغرافية التي تمثل الفاصل بين تنوع الثّقافات، وخصوصياتها المُشكِلة لها عبر خصوصية المكان الذي تنتمي إليه ثقافة ما، عبر سلسلة من التّمفصلات السّياسية والاجتماعية وحتى الدّينية واللّغوية والتّي كانت بدورها تشكل المحور الأساس أو المرجع المؤثر في بناء المفاهيم والقيم الثّقافية الـــ(ما قبل العولمية)، والتّي نجد إنعكاسها المباشر في مخرجات الإنسان وآثاره التي غالباً ما تركزت في تركته الإبداعية وما احتوته على مجموعة كبيرة من الخصوصيات المكانية والزّمانية، وما ارتبط بهما من عوالق بيئية ودينية واجتماعية نجدها تركزت في اختيار الموضوعات والتّقنيات لمعالجة النّتاجات الرّوائية، وحتى الشّخصيات والملامح الفكرية، التي لا يمكن أنْ ترتبط بغيرها من الثّقافات المجاورة لها.

ومع خصوصيات الرّواية وإمكانيات تشخيص سماتها المميزة لها عن غيرها من الآداب الأخرى لحضارات العالم المتعددة، وطرائق إنتاجها وتقنيات إخراجها ومواضيعها، على الرّغم من التّلاقحات الفكرية والعمليات التّطويرية التي رافقت العديد من حركات الهجرة السّكانية وانضمام شعوب ومناطق تحت سيطرة قيادات دول أخرى، وفرض أنظمة فكرية قسرية للقوى المسيطرة على المغلوبة، بقيت ملامح وسمات الثّقافة والآداب والفن ترتبط بخصوصياتها البيئية والمكانية والزّمانية عن غيرها أو عن الفكر المفروض قسراً لفترة طويلة من الزّمن[1].

فقد قسمت الآداب والملامح الفكرية لحضارات العالم إلى اتجاهات متنوعة، ارتبطت بقيام الحضارات والحكومات التي تميزت كل واحدة منها عن الأخرى تبعاً لأنماط مختلفة. وإنْ كانت الحضارات

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

١ – ينظر: روبين جورج كولنجوود: مبادئ الفن، تر: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م: ٢١٢.

السّابقة وكما مر ذكره في التّعريف بمفهوم العولمة وجذورها وتفرعاتها الثّقافية، إذ تسهم على بث المفهوم في مختلف الحقول المعرفية (السّياسية والاقتصادية والثّقافية والأدبية). إلا أنَّ جذورها تمتد في تاريخ الحياة البشرية، لذا فإننا نجد أنَّ الحضارات السّابقة أخذت في استحداث أساليبها الخاصة في تقنيات التّعبير عن مضمونها الحضاري وبنائها الفكري الذّي تجسد في أغلب تلك النّتاجات انتشاراً في الوقت الحالي وهو الرّواية، فإنَّها لم تعمد إلى تعميم تلك الأساليب في التّعبير الفني عن المضمون الحضاري للحضارات الأخرى لذا نجد أنَّ لكل حضارة سمتها الخاصة في اعتماد أسلوب وطريقة مخصصة في الإخراج الفني للنّتاجات الرّوائية. فالنّتاجات الأدبية العراقية لم تعمم كاتجاهات أدبية لمناطق متنوعة من العالم على الرّغم من اتساع نفوذ المنتجات الإبداعية للعرب سابقاً، بل بالعكس كلما ازدادت التّداخلات الجغرافية للفكر المحلي أخذ النّتاج الفني الإبداعي بالإنزياح عن الإتجاه السّائد إلى أنماط أسلوبية جديدة تميل إلى التّحول والتّغير. كما أنَّ الحضارة الإسلامية قد تكون من أكبر الحضارات إنتشاراً وسيطرة على الأراضي التي امتدت بين الشّرق الأقصى والغرب الأوربي، وكانت ذات طابع خاص في الأدب الذي عمم على طول تفرع الإمبراطورية الإسلامية وحكم الحكام المسلمين، الذّين أخذوا في إعتماد منهج منضبط متمثل بفنون الشّعر والخطابة والقصص التي اعتمدت الخيال والواقعية.

أعتقد أنْ تجاربهم أو الإتجاه الذي يعبرون من خلاله عن الحياة من نوع تجارب الأشخاص الذّين يأملون العثور على جمهور متذوق من بينهم، ولو كونوا من أنفسهم مجموعة مخصصة لكان معنى هذا أنْ تصبح الانفعالات التي يعبرون عنها هي انفعالات هذه المجموعة، وسوف تكون عاقبة ذلك هي اقتصار فهم نتاجهم على زملائهم الرّوائيين

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

أو النّخبويين فقط، وهذا في الواقع هو ما جرى إلى حد كبير خلال القرن التّاسع عشر عندما بلغ الرّوائي عن باقي البشر ذروته[٢].

وعلى ذلك المبدأ فقد اختص أدب الرّواية في مختلف العصور بعدّه أدباً يبحث عن إيجاد الخصوصية المحلية التي تؤطر الفكر المتداول في تلك المنطقة من دون سواها فقد اعتمدت (الرّوايات) هذه الميزة على مختلف تنوعاتها وتشعب أساليبها وتقنيات أدائها، وهي تشير إلى عالم روائي في الغالب من دون سواه بعدّه من الآداب التي ترتبط بمجتمعاتها، وتعبر عن أفكارها وأهدافها، وعلاقتها بالفرد داخل المجتمع علاقة تفاعلية ترابطية. فضلاً عن ديمومة الآثار الأدبية وإرتباطها بالمكان بشكل خاص وبعدّ الشّخصيات المكونة للشّكل الأدبي ذات إرتباطات بيئية؛ لأن (الإنسان ابن بيئته).

وبعد الإعلان عن سقوط جدار برلين وسقوط الخندق الشّيوعي. جاءت ثقافة العولمة بأدواتها التي تتجلى طروحاتها على مبدأ نهاية الحدود بين الدّول، وانفتاح المبادلات التّجارية والثّقافية، بالتّأكيد على إمكانات تجاوز الجغرافيا ونهايتها إذا صح التّعبير، وسرعة تداول المعلومة والخبر. إذ كانت مقتضيات "**انتقال الخبر مشدوداً إلى المسافة المكانية ومرهونا بتضاريسها في القرن التّاسع عشر، ومن الأمثلة التي نضربها استغراق انتقال خبر موت نابليون من جزيرة (سانت هيلانة) إلى باريس ستة أشهر. وفي القرن الثّاني عشر، استغرق انتقال خبر موت ابن تومرت، مؤسس دولة الموحدين، حوالي ثلاث سنوات ليعبر المسافة بين قرية (إيلغ) ومدينة (فاس). بينما الخبر اليوم يتم تتبعه مباشرة، ويعبر الأرض بأكملها في أقل من دقيقة**"[٣]. والذّي ساعد عليه

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

٢ – ينظر: روبين جورج كولنجوود: مبادئ الفن: ٢١٢.

٣ – الطّيب بو عزة، المثاقفة في زمن نهاية الجغرافيا، صحيفة العرب القطرية، عدد ٧٥٣٣، ٢٠٠٩/١/٢٦. www.alarab.com.qa

تطور تكنولوجيا المعلومات وتقنيات الإتصال والتّي تشمل الهواتف النّقالة والفضائيات والإنترنت وغيرها.

واللا–توطين يشير إلى المعنى المتعلق باللا–وطن أي فقدان الإحساس بالإنتماء للوطن (المكان) الطّبيعي الرّابط بين الثّقافة الفردية أو الجماعية وبين المكان الذي تتداول فيه هذه الثّقافة، حتى يصار إلى جدل في التّعبير عن علاقة الفرد بالمكان أو إشارة للدّلالة عن المكان، وينشأ بهذا المعنى نوع من الاغتراب بين الفرد وثقافته، فمثلاً يشار إلى أفلاطون أنَّه "**رجل مغترب عن المجتمع الأثيني وعن سياسات وأخلاقيات عصره**"[٤]. نفهم أنَّ اللا– توطين حالة من حالات عدم التّمازج بين المكان والمحتوى الثّقافي الذي يتداول فيه. وظاهرياً فالنّاس في أغلب المناطق يمتلكون أماكنهم وإرتباطهم بالمكان هو إرتباط مباشر، إلا أنَّ هذا الارتباط يأخذ في الإنحسار من الفردي إلى الجماعي العام وتتقلص المساحات المتاحة أمام الحرية الشّخصية والفردية لتتداخل مع الآخر ويكون الآخر على تماس مع المساحة الذّاتية للفرد.

وعلى وفق تلك التّوجهات ظهر مصطلح اللا–توطين الذي يشير إلى فقدان العلاقة بين الثّقافة والأدب وإقليمهما الجغرافي في محاولة لتلاشي الخط الفاصل بين الهوية المحلية والتّنميط الكوني. ليأخذ العمل الأدبي توجهات تساعد في التّرويج لخطاب عالمي حتى ولو كان يعبر عن قضية محلية. وعليه لم يعد المكان مرتبطاً بالهوية والمحلية، فأيّ شيء بمجرد دخوله بين ماكنة الأدب والمنظومة الرّقمية، يتحول إلى مشهد عالمي في مجتمع دولي بلا جغرافيا وفق سياقات التّنميط الكوني بتوظيف الشّاشة والوسائل الإشهارية الأخرى.

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

٤ – علي محمد اليوسف، سيسيولوجيا الاغتراب: قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد، ٢٠١١م: ٥٦.

فالنّص الرّوائي العراقي يعيش حالة اللا–توطين وقد أدت ظروف الغربة التي يعيشها المغتربون العراقيون، شعراء وكتاب قصة أو رواية، مبدعون في مجالات الأدب والفن الأخرى جميعها، إلى تكوين رؤية جديدة لديهم، خاصة بالنّسبة لمفهوم اللا–توطين.

ففي الوقت الذي كان فيه الوطن رمزاً يدعو إلى الدّفاع عنه والاستشهاد من دونه، نراه في النّصوص الحديثة وخاصة الرّوائية برؤية جديدة، رؤية تناقض تماماً الرّؤية القديمة، خاصة وأنَّها تعبر عن تصدع لمفهوم الوطن؛ وقد اختل مفهوم الوطن لديهم بهذا الشّكل، نتيجة لوقوعهم تحت رحمة النّفي وشعور الغربة التي يعيشونها. " **ومن الحق أن توصف حال المنفي بأنَّها (شقاء أخلاقي) دائم، فالمنفي هو من اقتلع من المكان الذي ولد فيه، لسبب ما، وأخفق في مد جسور الاندماج مع المكان الذي أصبح فيه، فحياته متوترة ومصيره ملتبس، وهو يتآكل باستمرار... فالمنفي ينطوي على ذات ممزقة لاسبيل إلى إعادة تشكيلها في كينونة منسجمة مع نفسها و مع العالم**"[٥].

فبطل رواية (كلنا في إجازة من الموت) لـــ(علي عبد العال)، يقول: " **أنا انسان مختلف الآن ! لابد للإنسان المنفي أن يكون مختلفا عن بقية الناس الاعتياديين ولو قليلا، فكيف إذا كان مريضا نفسيا، ويقع فريسة سهلة لكآبة مزمنة**"[٦].

ثم يقول بعد تداعيات في الوعي تعرض لها: " **ينضج الناس بصورة طبيعية كما الفاكهة التي تنضج بأرضها وتحت شمسها، إلا الإنسان المنفي فهو يبقى مرا لاذع الطعم كحنظل البراري**"[٧].

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

٥ – عبد الله إبراهيم: السّرد والاعتراف والهوية، المؤسسة المركزية للدراسات والنشر، بيروت ،٢٠١١: ١٤.

٦ – علي عبد العال: كلنا في إجازة من الموت، نص روائي قصير، موقع الرّوائي: www.alrowaee.com

٧ – م . ن.

واللا–توطين في حالته المعاصرة يكرس عجزاً عن الانتماء، فاللا–توطين موزع بين عالمين يتجاذبانه، عالم الطفولة وما يصاحبه من ذكريات تلح عليه باستمرار، وبين عالمه الجديد –المنفى– الذي انتقل إليه. وحتى السّنوات الطّوال التي يعيشها في هذا المكان، لم تساعده في الوصول إلى حالة الاستقرار والهدوء التي ينشدها "**ذات يوم وبعد سنوات طويلة وكثيرة كان معروف يمشي من دون هدف، كأي كائن غريب منفي عن جذوره. كان كئيبا إلى حد مفزع**"[٨].

ومع إنحسار مساحات الفرد الذّاتية لصالح المساحات الجماعية عبر الإنخراط داخل المنظومات المدنية التي أخذت في تأسيس الأطر العامة للحياة عبر شراكات في المؤسسات، فضلاً عن التّقارب والمشاركة في السّكن عبر فواصل خطية لا تتجاوز القدم، ازداد في هذه الحياة المدنية تقلص المساحات الفردية لصالح تداخلات نفسية واجتماعية بإزدياد تطور المدينة وإنزياحها نحو استقطاب الآخر.

وعلى هذا المبدأ وظفت المؤسسات المتعددة الجنسيات الرّاعية للثّقافات، مفهوم اللاتوطين للتّخلي عن جغرافيتها وهويتها بتماهي الحدود المكانية والزّمانية. وصارت قوتها تكمن في البحث عن منافذ جديدة في مناطق أخرى من العالم. في إمكانية لإيجاد بيئات شاملة يتم فيها التّرويج لتنميط أدبي وهيكلة خطابات ثقافية الغاية منها فتح خطوط إنتاجية جديدة وتحقيق أهداف مضمرة.

هذا السّياق انعكس على "**أصحاب المزادات والمعارض الأدبية التي صارت تبحث عن مقتني للأعمال الأدبية ومستثمرين من الصّين والهند ودبي**"[٩]، وغيرها من البلدان التي تريد أنْ تحدد لها موقعاً في الخارطة الرّقمية الجديدة. كما أصبح أدب الرّواية من المرتكزات المؤثرة

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

٨ – م . ن.

٩– http://edition.cnn.com Manav Tanneeru, confront new era, 2/4/2007..

التي تشكل حضوراً متميزاً داخل العالم الثّقافي الكوني، وصارت البلدان التي تمتلك عملاً روائياً شاخصاً ومعروفاً على المستوى العالمي هي دولة لها موقعها في زمن العولمة الثّقافية والأدبية بغض النّظر عن تاريخها السّابق ومكانها الجغرافي. كما لم تقتصر دور النّشر ومعارض الكتاب والجوائز الأدبية مع العولمة على وجودها في أميركا وفرنسا باعتبارها القطب الأوحد، لتعطي املاءاتها إلى العالم الأدبي. بل انتشرت في كل بلدان العالم وأسهمت في إقامة المهرجانات واستضافة الرّوائيين من كل الجنسيات. لتكون تلك الأنشطة أنظمة معيارية مهمة لوضع المجتمعات ضمن خارطة التّمدن في عالم بلا حدود ولا مركز ولا جغرافيا ولا تاريخ. فضلاً عن تحقيق مكانة دولية مهمة تجلب السّياح وجمهور النّخبة.

وإزاء ذلك تكون الشّبكة العنكبوتية هي المساحة الأثيرية الفاعلة في اختراق وإلغاء تضاريس الجغرافيا، ليكون تفرعاً تكميلياً للعالم الواقعي. وبهذا يساعد الرّوائي على التّرويج لأعماله. ويكون مصدراً مهماً لاطلاع الرّوائيين على تجارب الآخرين في أيِّ مكان دون تكبد عناء السّفر. وبالمقابل صار بإمكان المتصفح (القارئ) أنْ يدخل سوق الأدب متى شاء ومن أيِّ مكان لاقتناء الأعمال الفنية الأدبية. وبإمكانه أيضاً أنْ يسافر إلى أية دولة ليرى الأعمل الأدبية للأدباء وآخر معارضهم لتوقيع الكتب ومشاريعهم المستقبلية، وهو جالسٌ على أريكة في منزله.

وبحكم عوامل إنمحاء الجغرافيا وتلاشي الحدود وتشييد هذا الكم الهائل من معارض الكتب في العالم. حاول القائمون على معارض الكتب اليوم، البحث عن سبل جديدة لجذب جمهور التّلقي المختلف الجنسيات إلى معارضها. "**من خلال وضع معارض الكتب على خارطة العالم الكوني. وهذا لن يتم إلا بتحقيق الإشهار عن طريق عمل برامج تتلاءم مع أساليب الحياة الاجتماعية المعاصرة كإقامة عروض أدائية مباشرة،**

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

أو تنظم مسابقة عن طريق الشّبكة العنكبويتة، أو إضافة تصميم بنائي جديد مصمم من قبل معماري شهير لخلق ضجة إعلامية"[١٠].

ومما تقدم يمكن القول إنَّ العالم في زمن العولمة هو مختلف اعلامياً حتى من خلال الاشهار إذ "**يقسم إلى دول عالم أول، وثان، وثالثّ. لقد فرضت المتغيرات الجذرية في وسائل الإتصالات، وإنتشار الشّبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت)، والتّداخلات الثّقافية الهائلة الحاصلة على صعيد الكرة الأرضية طرائق تفكير وتحليل مغايرة تماماً، تمتاز بالمرونة والشّمولية وعدم الالتّزام بالمحددات الأكاديمية التّقليدية**"[١١]، مما سبق ينتج لدينا موت التّاريخ ونهاية الجغرافيا(اللا-توطين).

الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

١٠- Porter Anderson, American go 'full tilt', November ٢٩, ٢٠٠٦ www.cnn.com ..

١١- معن الطّائي، وأماني أبو رحمة: الفضاءات القادمة، أروقة للدراسات والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ٢٠١١م: ١٤.